(٣٦)

باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا

قال المصنف رحمه الله تعالى: (باب: من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا)

ش: فإن قيل: فما الفرق بين هذه الترجمة وبين ترجمة الباب قبله؟

قلت: بينهما عموم وخصوص مطلق، يجتمعان في مادة، وهو ما إذا أراد الإنسان بعمله التزين عند الناس والتصنع لهم والثناء، فهذا رياء كما تقدم بيانه، كحال المنافقين. وهو أيضًا إرادة الدنيا بالتصنع عند الناس، وطلب المدحة منهم والإكرام. ويفارق الرياء بكونه عمل عملاً صالحًا، أراد به عرضًا من الدنيا، كمن يجاهد ليأخذ مالاً، كما في الحديث: «**تعس عبد الدينار**»[(١)] أو يجاهد للمغنم أو غير ذلك من الأمور التي ذكرها شيخنا[(٢)] عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من المفسرين في معنى قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ [هود: ١٥].

وأراد المصنف رحمه الله بهذه الترجمة وما بعدها: أن العمل لأجل الدنيا شرك ينافي كمال التوحيد الواجب، ويحبط الأعمال، وهو أعظم من الرياء، لأن مريد الدنيا قد تغلب إرادته تلك على كثير من عمله، وأما الرياء فقد يعرض له في عمل دون عمل، ولا يسترسل معه، والمؤمن يكون حذرًا من هذا وهذا.

قال المصنف رحمه الله تعالى: (**وقوله تعالى:** ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥-١٦]).

ش: قال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ [هود: ١٥] أي ثوابها. ﴿وَزِينَتَهَا﴾، أي مالها. ﴿نُوَفِّ﴾، أي نوفر لهم ثواب أعمالهم بالصحة والسرور في المال والأهل والولد: ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ [هود: ١٥] لا ينقصون، ثم نسختها: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨] الآيتين. رواه النحاس في ناسخه.

قوله: (ثم نسختها) أي قيدتها. فلم تبق الآية على إطلاقها.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب: الحراسة في الغزو في سبيل الله، حديث (٢٨٨٧) وسياتي بتمامه بعد قليل.

(٢) هو: الإمام العلامة المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى.

وقال قتادة: من كانت الدنيا همه وطلبته ونيته جازاه الله بحسناته في الدنيا ثم يفضي إلى الآخرة وليس له حسنة يعطى بها جزاء، وأما المؤمن فيجازى بحسناته في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة ذكره ابن جرير بسنده.

ثم ساق حديث أبي هريرة عن ابن المبارك عن حيوة بن شريح قال: حدثني الوليد بن أبي الوليد أبو عثمان أن عقبة بن مسلم حدثه أن شُفَيَّ بن ماتع الأصبحي حدثه: (أنه دخل المدينة فإذا هو برجل قد اجتمع عليه الناس، فقال: من هذا؟ فقالوا: أبو هريرة. قال: فدنوت منه حتى قعدت بين يديه، وهو يحدث الناس. فلما سكت وخلا. قلت: أنشدك بحق وبحق لما حدثتني حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ عقلته وعلمته. قال: فقال أبو هريرة: أفعل، لأحدثنك حديثًا حدثنيه رسول الله ﷺ في هذا البيت ما فيه أحد غيري وغيره ثم نشغ[1] أبو هريرة نشغة، ثم أفاق فقال: لأحدثنك حديثًا حدثنيه رسول الله ﷺ في هذا البيت ما فيه أحد غيرى وغيره. ثم نشغ أبو هريرة نشغة أخرى، ثم مال خارًّا على وجهه، واشتد به طويلاً. ثم أفاق فقال: حدثني رسول الله ﷺ: «**إن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة نزل إلى القيامة ليقضي بينهم، وكل أمة جاثية**[2]. **فأول من يدعو به رجل جمع القرآن، ورجل قتل في سبيل الله، ورجل كثير المال. فيقول الله تبارك وتعالى للقارئ: ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي؟ قال: بلى يا رب. قال: فماذا عملت فيما علمت؟ قال: كنت أقوم آناء الليل وآناء النهار. فيقول الله له: كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت، ويقول الله له: بل أردت أن يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك.**

ويؤتي بصاحب المال فيقول الله له: ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد؟ قال: بلى يا رب، قال: فما عملت فيما آتيتك؟ قال له: كنت أصل الرحم وأتصدق، فيقول الله له: كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت، ويقول الله: بل أردت أن يقال فلان جواد، فقد قيل ذلك.

ويؤتي بالذي قتل في سبيل الله فيقال له: فبماذا قتلت؟ فيقول: أُمرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت، فيقول الله له: كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت، ويقول الله له: بل أردت أن يقال فلان جريء فقد قيل ذلك».

---

(١) أي: شهق حتى كاد يغشى عليه، وإنما يفعل الإنسان ذلك تشوقًا إلى شيء أو أسفًا عليه. انظر النهاية (٥/ ٥٧).

(٢) جثا: أي جلس على ركبتيه.

ثم ضرب رسول الله ﷺ على ركبتي فقال: «**يا أبا هريرة، أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر[١] بهم النار يوم القيامة**»[٢].

وقد سئل شيخنا المصنف رحمه الله عن هذه الآية فأجاب بما حاصله: ذكر عن السلف فيها أنواع مما يفعله الناس اليوم ولا يعرفون معناه.

فمن ذلك: العمل الصالح الذي يفعله كثير من الناس ابتغاء وجه الله: من صدقة وصلاة، وصلة وإحسان إلى الناس، وترك ظلم، ونحو ذلك مما يفعله الإنسان أو يتركه خالصًا لله، لكنه لا يريد ثوابه في الآخرة، إنما يريد أن يجازيه الله بحفظ ماله وتنميته، أو حفظ أهله وعياله، أو إدامة النعمة عليهم، ولا همة له في طلب الجنة والهرب من النار، فهذا يُعطي ثواب عمله في الدنيا وليس له في الآخرة من نصيب. وهذا النوع ذكره ابن عباس.

النوع الثاني: وهو أكبر من الأول وأخوف، وهو الذي ذكره مجاهد في الآية: أنها نزلت فيه وهو أن يعمل أعمالاً صالحة ونيته رياء الناس، لا طلب ثواب الآخرة.

النوع الثالث: **أن يعمل أعمالاً صالحة يقصد بها مالاً**، مثل أن يحج لمال يأخذه أو يهاجر لدنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها، أو يجاهد لأجل المغنم، فقد ذكر أيضًا هذا النوع في تفسير هذه الآية، كما يتعلم الرجل لأجل مدرسة أهله أو مكسبهم أو رياستهم، أو يتعلم القرآن ويواظب على الصلاة لأجل وظيفة المسجد، كما هو واقع كثيرًا.

النوع الرابع: **أن يعمل بطاعة الله مخلصًا في ذلك لله وحده لا شريك له لكنه على عمل يكفره كفرًا يخرجه عن الإسلام**، مثل اليهود والنصارى إذا عبدوا الله، أو تصدقوا أو صاموا ابتغاء وجه الله والدار الآخرة.

ومثل كثير من هذه الأمة الذين فيهم كفر أو شرك أكبر يخرجهم من الإسلام بالكلية، إذا أطاعوا الله طاعة خالصة يريدون بها ثواب الله في الدار الآخرة، لكنهم على أعمال تخرجهم من الإسلام وتمنع قبول أعمالهم.

فهذا النوع أيضًا قد ذكر في هذه الآية عن أنس بن مالك وغيره، وكان السلف يخافون منها.

---

(١) تُسعَّر: أي توقد ويحمى عليها.

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب: الزهد، باب: ما جاء في الرياء والسمعة، حديث (٢٣٨٢)، والطبري في تفسيره (١٢/ ١٣)، وهو صحيح، وانظر صحيح الجامع (١٧١٣)، صحيح الترغيب (٢٢).

قال بعضهم: لو أعلم أن الله تقبل مني سجدة واحدة لتمنيت الموت؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

ثم قال: بقي أن يقال: إذا عمل الرجل الصلوات الخمس والزكاة والصوم والحج ابتغاء وجه الله، طالبًا ثواب الآخرة، ثم بعد ذلك عمل أعمالاً قاصدًا بها الدنيا، مثل أن يحج فرضه لله، ثم يحج بعده لأجل الدنيا كما هو واقع، فهو لما غلب عليه منهما.

وقد قال بعضهم: القرآن كثيرًا ما يذكر أهل الجنة الخُلَّص وأهل النار الخُلَّص، ويسكت عن صاحب الشائبتين، وهو هذا وأمثاله انتهى.

قال المصنف رحمه الله تعالى: (في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة، إن أُعطِي رضى، وإن لم يعط سَخِط، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش. طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة. إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع له»** [(١)]).

ش: قوله: في الصحيح أي: صحيح البخاري.

قوله: (تعس) هو بكسر العين ويجوز الفتح أي: سقط، والمراد هنا: هلك. قاله الحافظ، وقال في موضع آخر: وهو ضد سعد. أي: شقي.

وقال أبو السعادات: يقال: تعس يتعس إذا عثر وانكب لوجهه. وهو دعاء عليه بالهلاك.

قوله: (عبد الدينار) هو المعروف من الذهب كالمثقال في الوزن، زنته: درهم وثُمن درهم.

قوله: (تعس عبد الدرهم) وهو من الفضة، قدره الفقهاء بالشعير وزنًا، وعندنا منه درهم من ضرب بني أمية، وهو زنة خمسين حبة شعير وخمسا حبة. سماه عبدًا له؛ لكونه هو المقصود بعمله، فكل من توجه بقصده لغير الله فقد جعله شريكًا له في عبوديته كما هو حال الأكثر.

قوله: (تعس عبد الخميصة) قال أبو السعادات: هي ثوب خز أو صوف معلم، وقيل:

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب: الحراسة في الغزو في سبيل الله، حديث (٢٨٨٧).

لا تسمى خميصة إلا أن تكون سوداء معلمة، وتجمع على خمائص. والخميلة - بفتح الخاء المعجمة - قال أبو السعادات: ذات الخمل، ثياب لها خَمَل من أي شيء كان.

قوله: (تعس وانتكس) قال الحافظ: هو بالمهملة، أي: عاوده المرض. وقال أبو السعادات: أي انقلب على رأسه. وهو دعاء عليه بالخيبة. قال الطيبي: فيه الترقي بالدعاء عليه؛ لأنه إذا تعس انكب على وجهه. وإذا انتكس انقلب على رأسه بعد أن سقط.

قوله: (وإذا شيك) أي: أصابته شوكة. (فلا انتقش) أي: فلا يقدر على إخراجها بالمنقاش قاله أبو السعادات.

والمراد: أن من كانت هذه حاله فإنه يستحق أن يدعى عليه بما يسوءه في العواقب، ومن كانت هذه حاله فلا بد أن يجد أثر هذه الدعوات من الوقوع فيما يضره في عاجل دنياه وآجل أخراه.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: فسماه النبي ﷺ عبد الدينار والدرهم وعبد القطيفة وعبد الخميصة. وذكر فيه ما هو دعاء بلفظ الخبر وهو قوله: «**تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش**» وهذه حال من إذا أصابه شر لم يخرج منه ولم يفلح، لكونه تعس وانتكس، فلا نال المطلوب، ولا خلص من المكروه.

وهذا حال من عبد المال، وقد وصف ذلك بأنه: «**إن أعطى رضى، وإن منع سخط**» كما قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التوبة: ٥٨].

فرضاؤهم لغير الله، وسخطهم لغير الله، وهكذا حال من كان متعلقًا منها برياسة أو صورة ونحو ذلك من أهواء نفسه، إن حصل له رضِي، وإن لم يحصل له سخط، فهذا عبد ما يهواه من ذلك وهو رقيق له، إذ الرق والعبودية في الحقيقة هو رق القلب وعبوديته، فما استرق القلب واستعبده فهو عبده.

- إلى أن قال: - وهكذا أيضًا طالب المال، فإن ذلك يستعبده ويسترقه وهذه الأمور نوعان:

فمنها: ما يحتاج إليه العبد، كما يحتاج إلى طعامه وشرابه ومنكحه ومسكنه ونحو ذلك، فهذا يطلبه من الله ويرغب إليه فيه. فيكون المال عنده يستعمله في حاجته بمنزلة حماره الذي يركبه، وبساطه الذي يجلس عليه من غير أن يستعبده فيكون هلوعًا.

ومنها: ما لا يحتاج إليه العبد، فهذا ينبغي أن لا يعلق قلبه بها، فإذا تعلق قلبه بها صار

مستعبدًا لها، وربما صار مستعبدًا ومعتمدًا على غير الله فيها، فلا يبقى معه حقيقة العبودية لله ولا حقيقة التوكل عليه، بل فيه شعبة من العبادة لغير الله وشعبة من التوكل على غير الله.

وهذا من أحق الناس بقوله ﷺ: «**تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة**» وهذا هو عبد لهذه الأمور ولو طلبها من الله، فإن الله إذا أعطاه إياها رضى، وإن منعه إياها سخط.

وإنما عبد الله من يرضيه ما يرضي الله ويسخطه ما يسخط الله ويحب ما أحبه الله ورسوله ويبغض ما أبغضه الله ورسوله، ويوالِي أولياء الله ويعادى أعداء الله فهذا الذي استكمل الإيمان، انتهى ملخصًا.

قوله: (طوبى لعبد) قال أبو السعادات: طوبى: اسم الجنة، وقيل: هي شجرة فيها ويؤيد هذا: ما روى ابن وهب بسنده عن أبي سعيد قال: قال رجل: يا رسول الله وما طوبى؟ قال: «**شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها**»(١).

ورواه الإمام أحمد: حدثنا حسن بن موسى سمعت عبد الله بن لهيعة حدثنا دراج أبو السمح أن أبا الهيثم حدثه أبو سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أن رجلاً قال: يا رسول الله، طوبى لمن رآك وآمن بك، قال: «**طوبى لمن رآني وآمن بي، وطوبى ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني**». قال له رجل: وما طوبى؟ قال: «**شجرة في الجنة مسيرة مائة عام، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها**»(٢) وله شواهد في الصحيحين وغيرهما.

وقد روى ابن جرير عن وهب بن منبه هاهنا أثرًا غريبًا عجيبًا. قال وهب رحمه الله: إن في الجنة شجرة يقال لها: طوبى يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها زهرها رياط(٣)، وورقها بُرود(٤)، وقضبانها عنبر، وبطحاؤها ياقوت، وترابها كافور، ووحلها مسك.

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٣/ ١٤٩) وهو صحيح، وانظر الحديث الآتي.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٧١)، حديث (١١٦٩١)، وأبو يعلى في مسنده (٢/ ٥١٩)، حديث (١٣٧٤)، وهو صحيح، وانظر صحيح الترغيب (٣٧٣٦)، الصحيحة (١٩٨٥).

(٣) الرياط: جمع ريطة وهي كل ملاءة تكون نسجًا واحدًا ليس لها لفقين. وقيل: ثوب لين رقيق. انظر النهاية (٢/ ٢٨٩).

(٤) جمع بردة: ثوب مخطط يُلْتَحف به.

يخرج من أصلها أنهار الخمر واللبن والعسل، وهي مجلس لأهل الجنة، فبينما هم في مجلسهم إذ أتتهم الملائكة من ربهم يقودون نُجُبًا [(١)] مزمومة بسلاسل من ذهب، وجوهها كالمصابيح من حسنها، ووبرها كخز المِرعزّى من لينه، عليها رحال ألواحها من ياقوت، ودفوفها من ذهب، وثيابها من سندس وإستبرق، فينيخونها ويقولون: إن ربنا أرسلنا إليكم لتزوروه وتسلموا عليه قال: فيركبونها.

قال: فهي أسرع من الطائر، وأوطأ من الفراش. نُجُبًا من غير مهنة، يسير الراكب إلى جنب أخيه وهو يكلمه ويناجيه، لا تصيب أذن راحلة منها أذن صاحبتها، ولا برك راحلة برك صاحبتها، حتى إن الشجرة لتنتحي عن طريقهم لئلا تفرق بين الرجل وأخيه.

قال: فيأتون إلى الرحمن الرحيم فيسفر لهم عن وجهه الكريم حتى ينظروا إليه، فإذا رأوه قالوا: اللهم أنت السلام ومنك السلام، وحق لك الجلال والإكرام، قال: فيقول تبارك وتعالى عند ذلك: **«أنا السلام ومني السلام وعليكم حقت رحمتي ومحبتي، مرحبًا بعبادي الذين خشوني بالغيب وأطاعوا أمري»**.

قال: فيقولون: ربنا إنا لم نعبدك حق عبادتك، ولم نقدرك حق قدرك، فائذن لنا بالسجود قدامك. قال: فيقول الله: **«إنها ليست بدار نصب ولا عبادة، ولكنها دار ملك ونعيم، وإني قد رفعت عنكم نصب العبادة، فسلوني ما شئتم، فإن لكل رجل منكم أمنيته»**. فيسألونه، حتى إن أقصرهم أمنية ليقول: ربي، تنافس أهل الدنيا في دنياهم فتضايقوا فيها، رب فآتني من كل شيء كانوا فيه من يوم خلقتها إلى أن انتهت الدنيا، فيقول الله تعالى: **«لقد قصرت بك اليوم أمنيتك. ولقد سألت دون منزلتك. هذا لك مني وسأتحفك بمنزلتي؛ لأنه ليس في عطائي نكد ولا قصر يد»**.

قال: ثم يقول: **«اعرضوا على عبادي ما لم تبلغ أمانيهم ولم يخطر على بال»**. قال: فيعرضون عليهم حتى تقصر بهم أمانيهم التي في أنفسهم، فيكون فيما يعرضون عليهم براذين مقرنة على كل أربعة منها سرير من ياقوتة واحدة. على كل سرير منها قبة من ذهب مفرغة. في كل قبة منها فرش من فرش الجنة مُظاهرة. في كل قبة منها جاريتان من الحور العين. على كل جارية منهن ثوبان من ثياب الجنة. وليس في الجنة لون إلا وهو فيهما، ولا ريح طيب إلا قد عبق بهما. ينفذُ ضوء وجوههما غلظ القبة. حتى يظن من يراهما أنهما دون

(١) النُجُب: جمع نجيب والنجيب من الحيوان: أي الفاضل على مثله في نوعه.

القبة يرى مخهما من فوق سوقهما كالسلك الأبيض في ياقوتة حمراء . يريان له من الفضل على صاحبته كفضل الشمس على الحجارة أو أفضل . ويُرى لهما مثل ذلك . ثم يدخل عليهما فيحييانه ويقبلانه ويعانقانه ويقولان له : والله ما ظننا أن الله يخلق مثلك . ثم يأمر الله تعالى الملائكة فيسيرون بهم صفًا في الجنة حتى ينتهي كل رجل منهم إلى منزلته التي أعدت له .

وقد روى هذا الأثر ابن أبي حاتم بسنده عن وهب بن منبه وزاد : فانظروا إلى مواهب ربكم الذي وهب لكم ، فإذا بقباب في الرفيق الأعلى ، وغرف مبنية بالدر والمرجان ، أبوابها من ذهب وسررها من ياقوت ، وفرشها من سندس وإستبرق ، ومنابرها من نور ، يفور من أبوابها وعراصها نور مثل شعاع الشمس ، عنده مثل الكوكب الدري في النهار المضيء .

وإذا بقصور شامخة في أعلى عليين من الياقوت يزهو نورها . فلولا أنه مسخر إذًا لالتمع الأبصار ، فما كان من تلك القصور من الياقوت الأبيض فهو مفروش بالحرير الأبيض ، وما كان منها من الياقوت الأخضر فهو مفروش بالسندس الأخضر ، وما كان منها من الياقوت الأصفر فهو مفروش بالأرجوان الأصفر ، مبوبة بالزمرد الأخضر والذهب الأحمر والفضة البيضاء ، قوائمها وأركانها من الجوهر ، وشرفها من قباب من لؤلؤ ، وبروجها غرف من المرجان .

فلما انصرفوا إلى ما أعطاهم ربهم قربت لهم براذين من ياقوت أبيض ، منفوخ فيها الروح ، تحتها الولدان المخلدون ، بيد كل وليد منهم حَكَمة برذون من تلك البراذين ولُجُمها وأعنتها من فضة بيضاء منظومة بالدر والياقوت ، سروجها سرر موضونة مفروشة بالسندس والإستبرق .

فانطلقت بهم تلك البراذين تزف بهم فينظرون رياض الجنة فلما انتهوا إلى منازلهم وجدوا الملائكة قعودًا على منابر من نور ينتظرونهم ليزوروهم ويصافحوهم ويهنئوهم كرامة ربهم ، فلما دخلوا قصورهم وجدوا فيها جميع ما تطاول به عليهم وما سألوا وما تمنوا ، وإذا على باب كل قصر من تلك القصور أربعة جنان : جنتان ذواتا أفنان ، وجنتان مدهامتان ، وفيهما عينان نضاختان ، وفيهما من كل فاكهة زوجان ، وحور مقصورات في الخيام .

فلما تبوءوا منازلهم واستقروا قرارهم قال لهم ربهم : ﴿فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾ [الأعراف: ٤٤] قالوا : نعم وربنا . قال : هل رضيتم ثواب ربكم؟ قالوا : ربنا رضينا فارض عنا ،

قال: فبرضائي عنكم أحللتكم داري ونظرتم إلى وجهي، فعند ذلك قالوا: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾ [فاطر: ٣٤-٣٥] وهذا سياق غريب وأثر عجيب ولبعضه شواهد في الصحيحين.

وقال خالد بن مَعْدان [١]: إن في الجنة شجرة يقال لها: طوبى، ضروع كلها، ترضع صبيان أهل الجنة، وإن سقط المرأة يكون في نهر من أنهار الجنة يتقلب فيه حتى تقوم القيامة فيبعث ابن أربعين سنة. رواه ابن أبي حاتم.

قوله: (آخذ بعنان فرسه في سبيل الله) أي: في جهاد المشركين.

قوله: (أشعث) مجرور بالفتحة؛ لأنه اسم لا ينصرف للوصفية ووزن الفعل، و(رأسه) مرفوع على الفاعلية، وهو طائر الشعر، شغله الجهاد في سبيل الله عن التنعم بالادهان وتسريح الشعر.

قوله: (مغبرة قدماه) هو بالجر صفة ثانية لعبد.

قوله: (إن كان في الحراسة) هو بكسر الحاء أي: حماية الجيش عن أن يهجم العدو عليهم.

قوله: (كان في الحراسة) أي غير مقصِّر فيها ولا غافل، وهذا اللفظ يستعمل في حق من قام بالأمر على وجه الكمال.

قوله: (وإن كان في الساقة كان في الساقة) أي: في مؤخرة الجيش، يقلب نفسه في مصالح الجهاد، فكل مقام يقوم فيه إن كان ليلاً أو نهارًا، رغبة في ثواب الله وطلبًا لمرضاته ومحبة لطاعته.

قال ابن الجوزي [٢] **رحمه الله**: وهو خامل الذكر، لا يقصد السمو.

وقال الخلخالي: المعنى: ائتماره بما أمر، وإقامته حيث أقيم. لا يُفقد من مقامه،

---

(١) هو: خالد بن معدان بن أبي كرب الكلاعي، أبو عبد الله الشامي الحمصي، ثقة عابد، يرسل كثيرًا، من الطبقة الوسطى من التابعين. توفي سنة (١٠٣هـ). انظر التقريب (ت١٩٠).

(٢) هو: عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي البغدادي، الحنبلي، أبو الفرج ابن الجوزي، محدث، حافظ، مفسر، فقيه، واعظ، أديب، مؤرخ. ولد ببغداد وتوفي بها. له مؤلفات كثيرة منها: تذكرة الأريب في اللغة، جامع المسانيد، تلبيس إبليس، زاد المسير في علم التفسير، أخبار الحمقى والمغفلين، منهاج القاصدين، صيد الخاطر. توفي سنة (٥٩٧هـ).

وإنما ذكر الحراسة والساقة؛ لأنهما أشد مشقة. انتهى. وفيه: فضل الحراسة في سبيل الله.

قوله: (إن استأذن لم يؤذن له) أي إن استأذن على الأمراء ونحوهم لم يأذنوا له؛ لأنه لا جاه له عندهم ولا منزلة. لأنه ليس من طلابها. وإنما يطلب ما عند الله لا يقصد بعمله سواه.

قوله: (وإن شفع) بفتح أوله وثانيه.

قوله: (لم يشفع) بفتح الفاء مشددة. يعني: لو ألجأته الحال إلى أن يشفع في أمر يحبه الله ورسوله لم تقبل شفاعته عند الأمراء ونحوهم.

وروى الإمام أحمد ومسلم عن أبي هريرة مرفوعًا: «**رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره**» (١).

قال الحافظ: فيه ترك حب الرياسة والشهرة، وفضل الخمول والتواضع. انتهى.

وروى الإمام أحمد أيضًا عن مصعب بن ثابت أن عبد الله بن الزبير قال: قال عثمان رضي الله عنه - وهو يخطب على منبره -: إني محدثكم حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ لم يكن يمنعني أن أحدثكم به إلا الظن بكم. سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**حرس ليلة في سبيل الله أفضل من ألف ليلة يقام ليلها ويصام نهارها**» (٢).

وروى الحافظ ابن عساكر - في ترجمة عبد الله بن المبارك - قال عبد الله بن محمد قاضي نصيبين (٣): حدثني محمد بن إبراهيم بن أبي سكينة أنه أملى عليه عبد الله بن المبارك هذه الأبيات بطرسوس (٤) وواعده الخروج. وأنشدها معه إلى الفضيل بن عياض في سنة سبع وسبعين ومائة. قال:

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا   لعلمت أنك في العبادة تلعب

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: فضل الضعفاء والخاملين، حديث(٢٦٢٢).

(٢) أخرجه ابن ماجه، كتاب: الجهاد، باب: فضل الرباط في سبيل الله، حديث (٢٧٦٦)، وأحمد في مسنده (١/ ٦١)، حديث (٤٣٣)، والطبراني في الكبير (١/ ٩١)، حديث (١٤٥)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٩١)، حديث (٢٤٢٦)، وفي سنده مصعب بن ثابت وهو لين الحديث. وانظر ضعيف الجامع (٢٧٠٤)، ضعيف الترغيب (٧٨٨).

(٣) هي: مدينة بين دجلة والفرات في بلاد العراق، على جادة القوافل المتجهة من الموصل إلى الشام، فتحت على يد سعد بن أبي وقاص في عهد عمر بن الخطاب سنة (١٧هـ). انظر معجم البلدان (٥/ ٢٨٨).

(٤) هي: مدينة بثغور الشام بين أنطاكيا وحلب وبلاد الروم، وتقع الآن ضمن دولة تركيا. انظر معجم البلدان (٤/ ٢٨).

من كان يخضب[١] خده بدموعه فنحورنا بدمائنا تتخضب
أو كان يتعب خيله في باطل فخيولهم يوم الصبيحة تتعب
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا رهج السنابك والغبار الأطيب
ولقد أتانا من مقال نبينا قول صحيح صادق لا يكذب
لا يستوي غبار خيل الليل في أنف امرئ ودخان نار تلهب
هذا كتاب الله ينطق بيننا ليس الشهيد بميت لا يكذب

قال: فلقيت الفضيل بكتابه في المسجد الحرام فلما قرأه ذرفت[٢] عيناه فقال: صدق أبو عبد الرحمن ونصحني، ثم قال: أنت ممن يكتب الحديث؟ قلت: نعم قال لي: اكتب هذا الحديث، وأملى علي الفضيل بن عياض: حدثنا منصور بن المعتمر عن أبي صالح عن أبي هريرة: أن رجلاً قال: يا رسول الله علمني عملاً أنال به ثواب المجاهدين في سبيل الله، فقال: «**هل تستطيع أن تصلي فلا تفتر، وتصوم فلا تفطر؟**» فقال: يا رسول الله أنا أضعف من أن أستطيع ذلك، ثم قال النبي ﷺ: «**فو الذي نفسي بيده لو طُوِّقت ذلك ما بلغت فضل المجاهدين في سبيل الله، أما علمت أن فرس المجاهد ليستن في طوله[٣] فيكتب له بذلك حسنات؟**»[٤].

---

(١) أي: بلّها، والمراد المبالغة في البكاء.
(٢) أي: دمعت.
(٣) الاستنان: العدو. الطُول: الحبل الطويل الذي يُشَدُّ أحد طرفيه في وتد أو غيره، والطرف الآخر في يد الفرس ليدور فيه ويرعى، حتى لا يذهب. انظر النهاية (٣/ ١٤٥).
(٤) أخرجه ابن عساكر كما في تفسير ابن كثير (١/ ٤٤٨).